الأدب التفاعلي و حتمية التحول في عناصر العملية الإبداعية

أ/ميمون يوسف

ملخص:

يمكننا القول: بأن الأدب التفاعلي ولد من رحم التقاطع الذي وقع بين الأدب التقليدي و التحول المفاجئ الذي أحدثته التكنولوجيا الحديثة, ومنه فإن هذا التقاطع حتّم على هذا المصطلح أن ينسجم و شروطه كي تنطبق عليه صفة التفاعلية, كأن يتجاوز الآلية التقليدية في تقديم النص الأدبي و كذلك أن يعترف بدور المتلقي في بناء النص وقدرته على الإسهام فيه, و هذا أساس التفاعلية في هذا النوع من الأدب, لقد فرضت هذه الحتمية على الباحثين في هذا المجال, التعمق أكثر في نقطة التقاطع و التي تمثل فكرة الإفادة و الاستفادة بين الأدب و التكنولوجيا, قصد الكشف على عوامل التأثير و التأثر في عملية تلقي الأدب بشكله الجديد, عملية التلقي هذه استوجبت من الأدب التقليدي أن يُحدث تحولات في عناصر عمليته الإبداعية و كذا في آليات تقديمه, و هذا ما سنسعى إلى الكشف عنه من خلال هذه الورقة البحثية أن نقف على عملية التحول هذه و كيف أسست لأدب تفاعلي بدأ في شق طريقه في الأدب العربي الحديث.

مقدمة

يمكننا القول: بأن الأدب التفاعلي ولد من رحم التقاطع الذي وقع بين الأدب التقليدي و التحول المفاجئ الذي أحدثته التكنولوجيا الحديثة, ومنه فإن هذا التقاطع حتّم على هذا المصطلح الحديث أن ينسجم و شروطه كي تنطبق عليه صفة التفاعلية, كأن يتجاوز الآلية التقليدية في تقديم النص الأدبي و كذلك أن يعترف بدور المتلقي في بناء النص وقدرته على الإسهام فيه, و هذا أساس التفاعلية في هذا النوع من الأدب, لقد فرضت هذه الحتمية على الباحثين في هذا المجال, التعمق أكثر في نقطة التقاطع هذه و التي تمثل فكرة الإفادة و الاستفادة بين الأدب و التكنولوجيا, قصد الكشف على عوامل التأثير و التأثر في عملية تلقي الأدب بشكله الجديد, عملية التلقي الجديدة التي استوجبت من الأدب التقليدي أن يُحدث تحولات في عناصر عمليته الإبداعية و كذا في آليات تقديمه كي يتناسب و مفهوم الأدب الحقيقي الذي يحمل في أساسه مبدأ الرسالة, ومن الأسئلة التي وجب أن تطرح قبل الخوض في هذا العرض, هل أثر هذا التحول على عناصر العملية الإبداعية؟ و كيف أسست عملية التحول هذه إلى أدب تفاعلي بدأ في شق طريقه في الأدب العربي الحديث؟ ومن أجل الخوض في حل هذه الإشكاليات رأيت أنه لابد لي من أضع القارئ في مواجهة النص بشكله الجديد إذ يعد حلقة الوصل الأساسية بين عناصر العملية الإبداعية و العنصر الذي يجرى عليه التحول بشكل مباشر ثم مدخلا أوضح فيه مفهوم الأدب التفاعلي العام, ثم و بشكل مباشر كيف كانت عملية التحول في العملية الإبداعية من خلال عناصرها عملية حتمية رضخ لها الأدب التقليدي كي يتماشى و التطور التكنولوجي.

ثانيا: النص الرقمي:

باعتبار النص العنصر الأساسي و الحلقة الأساسية في عناصر العملية الإبداعية, كان لابد من وضع القارئ أمام التحول الذي طرأ على هذا العنصر, فبعدما كانت العملية الإبداعية في الأدب التقليدي تخضع لثلاث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عناصر(المبدع ـ النص ـ المتلقي) طرأ التحول فأصبحت (المبدع ـ النص الرقمي ـ الوسيط ـ المتلقي) أما بالنسبة للوسيط فسيؤتى على ذكره فيما يلي من عرض كونه وسيلة التقديم الجديدة و الأساسية في الأدب التفاعلي و أما بالنسبة للنص الرقمي فإننا سنخوض فيه من خلال عدة تعريفات تناولها بعض الدارسين

يقول رولان بارت: (إن هذا النص المثالي شبكات كثيرة و متفاعلة معها, دون أن تستطيع أي منها تجاوز البقية, إن هذا النص كوكبة من الدوال لا بنية من المدلولات, ليس له بداية, قابل للتراجع و نستطيع الولوج إليه من مداخل متعددة, ولا يمكن لأي منها أن يوصف بأنه المدخل الرئيسي, إن أنظمة المعنى تستطيع السيطرة على هذا النص المتعدد ـ تعددية ـ مطلقة, لكن عددها غير قابل للانغلاق أبدا, لأنه كما هو الحال معتمد على لا نهائية اللغة)[1]

نفهم من خلال تعريف رولان بارت للنص الرقمي أن هذا النص بشكله الجديد يتيح للمتلقي أن يتحكم بمكنة التأويل و الدلالات, و أن هذا النص لم يعد كما كان تقليديا غير قابل للتراجع بل العكس قابل للتعديل في أي وقت, كما يصفه كونه نصا متعددا وبأنه يتميز بإمكانية الولوج إليه عبر أي بوابة من البوابات التكنولوجية المختلفة عكس البوابة الوحيدة السابقة و هي الكتاب.

و يعرفه رمضان النويصري فيقول: (يمكننا تعريف النص الرقمي في أبسط صورة له بأنه التعبير الرقمي عن تطور النص الإبداعي وهو هنا أي: النص, يستفيد من الخاصية الرقمية, لذا فإن النص خارج وسيلة العرض هو سلسلة رقمية طويلة لا يمكن قراءتها أو فكها, ويتمثل دور وسيلة العرض ـ الحاسوب* الهاتف النقال ـ في تمكيننا من قراءة و عرض هذا السيل الرقمي)[2]

تتجلى لنا من خلال تعريف رمضان النويصري فكرة المقابلة بين العنصر الأول (المبدع)و العنصر الأخير (المتلقي) من خلال العنصر الأساسي (النص) وكيف أن اختيار المبدع لوسيلة العرض (الوسيط) يتحكم في شكل المتلقي إن كان إلكترونيا أو وورقيا

ننتقل إلى تعريف سعيد يقطين حيث يقول: (إذا كان النص الالكتروني يتحقق بواسطة الحاسوب فإن هذا النص يعطي إمكانيات كبيرة للمتلقي في تعامله و تفاعله معه, الشيء الذي يؤكد مبدأ التفاعل الذي عملنا على إبرازه و تبيين أن دور المتلقي لا يقل أهمية عن دور الكاتب)[3]

هذا التعريف لسعيد يقطين يوضح بشكل جيد كيف أن هذا التحول لعنصر النص أعطى مساحة كافية للمتلقي كي يمارس عن طريق تعامله مع النص, تفاعله الذي يؤكد مبدأ التفاعل كي يجوز اصطلاح التفاعلية على هذا النوع من الأدب الجديد ولا يتأتى مفهوم التفاعلية للمتلقي إلا إذا توفر الإبداع التفاعلي من المبدع و الذي يولد من رحم التكنولوجيا التي تقدم إمكانات مذهلة للإبداع و الخلق[4]

---

[1] صفية علية. آفاق النص الأدبي ضمن العولمة.أطروحة دكتوراه . إشراف علي عالية. جامعة محمد خيضر بسكرة قسم اللغة العربية. ص 47

[2] رامز رمضان النويصري.في ذات النص الرقمي. الموقع: https://ramez-enwesri.com/archives/383

[3] صفية علية. آفاق النص الأدبي ضمن العولمة.أطروحة دكتوراه . إشراف علي عالية. جامعة محمد خيضر بسكرة قسم اللغة العربية. ص 49

[4] سعيد يقطين.من النص إلى النص المترابط. حوار مع د:محمد الداهي, الموقع: https://www.mohamed-dahi.net/site/news.php?action=view&id=11

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من خلال هذه التعريفات للنص الرقمي يتضح لنا كيف أن التحول الذي طرأ على النص من نص ورقي إلى نص رقمي عمل على استحداث طرح جديد أ ودعنا نقول شكل جديد من أشكال الكتابة الأدبية و التي بدورها أنتجت لنا جنسا جديدا من الأدب و هو ما كني بالأدب التفاعلي الذي حتم على الأدب التقليدي أن يحول من عناصر عمليته الإبداعية كي يتماشى و الثورة التكنولوجية التي وسعت آفاق الطرح للأدب بكل أشكاله وراحت تغير في عناصر عمليته الإبداعية.

ثالثا: مدخل إلى الأدب التفاعلي:

للأدب التفاعلي مفاهيم عدة نذكر منها ما يلي[5]:

- النص الذي يتعين بالتقنيات التي وفرتها تكنولوجيا المعلومات وبرمجيات الحاسب الالكتروني لصياغة هيكلته الداخلية و الخارجية, و الذي لا يمكن عرضه إلا من خلال الوسائط التفاعلية الالكترونية كالقرص المدمج و الحاسب الالكتروني أو الشبكة العنكبوتية الانترنت
- إنه الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد يجمع بين الأدبية و الالكترونية ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الالكتروني أي من خلال الشاشة الزرقاء
- إنه النص الذي ينشر نشرا رقميا و يستخدم التقنيات التي أتاحتها الثورة المعلوماتية و الرقمية من استخدام النص المتفرع **hypertext** و المؤثرات السمعية و البصرية الأخرى.
- هو الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد يجمع بين الأدبية و الإلكترونية ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني, أي من خلال الشاشة الزرقاء, ولا يكون هذا الأدب تفاعليا إلا إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل أو تزيد مساحة المبدع الأصلي للنص[6]

كل هذه المفاهيم تشير إلى العلاقة الأساسية بين الأدب و التكنولوجيا أو دعنا نقول بين الأدب و الثورة المعلوماتية الجديدة التي عرفها العالم و في شتى المجالات, إلا أننا إذا ما عدنا إلى مفهوم الأدب التقليدي كونه يؤدي عملية رسالية من الدرجة الأولى, فإننا نجد أن هذا التحول التكنولوجي الذي أفرز لنا هذا النوع من الأدب لم يغير من مفهوم الأدب الأول, بل أضاف شكلا جديدا من أشكال كتابته و طرحه هذا بالنسبة للأدب, أما التفاعلية فيه فإن لهذه الخاصية التي يجب أن لا تنفصل عن هذا الأدب الجديد, علاقة مباشرة بعناصر العملية الأدبية و التي كان لزاما عليها أن تتماشى و كل هذا التطور من أجل أن تنسجم وشروط هذا الأدب الجديد, كي تنطبق عليه صفة التفاعلية و التي يقوم بتفعيلها المتلقي على وجه الخصوص, و كي يتضح لنا ذلك لابد من أن نعرض كيف كانت هذه العناصر في صورة الأدب التقليدي و كيف صارت في ظل هذا الأدب الجديد و نعقد مقارنة أخيرة توضح كيف عمل هذا التحول على تأسيس أدب جديد (تفاعلي) بدأ في شق طريقه في الأدب العربي الحديث.

[5] حسين دحو. النص الرقمي في الأدب العربي من الورقية إلى الرقمنة (وجه آخر لما بعد الحداثة). مجلة الأثر. ع 29 ديسمبر 2017

[6] فاطمة البريكي. مدخل إلى الأدب التفاعلي. المركز الثقافي العربي. بيروت لبنان. الطبعة الأول 2006 . ص 49

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا: عملية التحول في عناصر العملية الإبداعية:

لقد فرضت الثورة العلمية و التكنولوجية على الأدب التقليدي أن يتماشى و هذا التطور و إن قلنا الأدب فإننا نقصد بذلك أساس طرحه المتمثل في عناصر عمليته الإبداعية, فصار لابد من المبدع أن يتحول من مبدع ورقي تقليدي إلى مبدع رقمي إلكتروني حديث مثله مثل النص الذي تحول من نص ورقي إلى نص إلكتروني هذان العنصران فرضا على المتلقي أن يستجيب لدعوة التطور هذه و أن يتحول من متلق تقليدي ورقي صرف إلى متلقي إلكتروني اتسعت مساحته و أدوراه في إعادة تشكيل النص وبنائه ليحدث ذلك التفاعل بين كل هذه العناصر التي أنتجت لنا أدبا جديدا (أدبا تفاعليا) يجعل من الجميع مبدعا و منتجا و لكي نلمس هذا التحول لابد لنا من عقد مقارنة بين الأدب التقليدي و الأدب التفاعلي (الجديد) كي تتبين لنا أن الإيجابية الغالبة في هذا التحول و التي حتمت على الأدب التقليدي أن يتماشى و هذا التطور التكنولوجي.

- **رابعا. أ / عناصر العملية الإبداعية في الأدب التقليدي:**

في السابق كان المبدع ورقيا صرفا لأنه لم يكن أمام خيار آخر ومنه فإنه كان يقدم مادته الأدبية ورقيا و هذا ما جعله يحتم على المتلقي كذلك أن يكون ورقيا هو الآخر, كما كان على المبدع الورقي أن يصل إلى جمهوره من المتلقين بإقرار وتسليم وموافقة و مباركة الوسطاء الذين يعملون على تقديمه للجمهور المتلقي كدور النشر و الصحف و المجلات..الخ, بالإضافة إلى معاناة المبدع من ضيق المساحة فإنه كان ملزوما بنطاق معين أثناء عملية تقديم مادته حتى يتجنب مقصلة الرقابة و الخط الافتتاحي لمؤسسات النشر مثلا, ها بالنسبة للعنصر الأول من العملية الإبداعية وهو المبدع (الكاتب) أما بالنسبة للنص و هو العنصر الثاني: فإن النص الورقي يعد منتهيا حالما يصدر في شكل كتاب و لا يمكن لمؤلفه أن يجري عليه أي تعديلات سوى إن قرر ذلك في طبعة ثانية لمؤلفه ويعاني كذلك مثل المبدع من ضيق المسافة إذ يجب على هذا النص الورقي أن يكون مناسبا لخط الوسيط أو لسياسة البلد في حد ذاتها, ننتقل إلى العنصر الأخير وهو المتلقي الذي كان لزاما عليه أن يكون ورقيا طالما كان المبدع ورقيا, كما كانت مساحة التلقي لديه ضيقة من دون خيارات إذ تتحكم فيه جغرافيته و ندرة المصادر .. الخ كما كان يعاني من بطء البدء في العملية فمثلا و هذا في حال ما وجد المتلقي المادة التي يريدها كان لابد له من انتظار وقت وصول المادة إليه[7]

- **رابعا. ب / عناصر العملية الإبداعية في الأدب التفاعلي:**

الثورة الالكترونية جعلت المبدع يستغني عن مباركة المؤسسات الوسيطة قبل أن يوصل مادته إلى جمهوره من المتلقين ,كما تخلص من مشكلة ضيق المساحة المتاحة له إذ صار بإمكانه أن يكون رئيس تحرير نفسه, و مما يلاحظ فإن المبدع الالكتروني غالبا ما يجد من يتفاعل مع نصه كونه يقدمه للجميع في العالم بعكس ما كان عليه حين كان مقيدا بزمان و مكان معينين, ويحسب للمبدع الالكتروني أنه صار متعددا بدل أن يكون واحدا و تعدده هذا يكون بتعدد القراء المتلقين لنصه و الذين يسمح لهم بالمشاركة في بناء النص و إنتاجه . و هذا ما قصدناه بالاعتراف بدور المتلقي في بناء النص و قدرته على الإسهام فيه . و منه فإن الأدب التفاعلي يجعل من الجميع

[7] فاطمة البريكي. مدخل إلى الأدب التفاعلي. المركز الثقافي العربي. بيروت لبنان. الطبعة الأول 2006 . ص 178/175

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مبدعا و منتجا فلا تقتصر العملية الإبداعية على مبدع واحد و هذا ما سيؤثر على طبيعة المتلقي الذي سيصبح أيضا مبدعا حقيقيا من خلال تلبيته لدعوة المبدع الالكتروني (صاحب النص) و التي يمنحه من خلالها مساحة حرة ومفتوحة للإضافة و المشاركة في بناء النص و إنتاج معناه, ننتقل إلى العنصر الثاني و هو النص فإنه لا يعد منتهيا كما رأينا مع النص الورقي فإن طرحه إلكترونيا يجعله متاحا من أجل التعديل و التغيير فيه دون انتظار طبعة ثانية كما ان النص الالكتروني يتميز برحابة الفضاء المحيط به و من مميزات النص الالكتروني نذكر: اختصار الزمن / إمكانية التخزين / سهولة البحث / ضآلة التكلفة, أما بالنسبة للمتلقي فإن انتقال المبدع من طور الورقية إلى طور الالكترونية أحدث تغييرا كذلك على طبيعة المتلقي الذي أصبح يمارس فعل التلقي إلكترونيا كما توسعت لدى المتلقي خيارات التلقي من خلال المواقع الالكترونية أو غيرها بعد أن كان محصورا بين كتاب و مجلة وصحيفة بالإضافة إلى تحكم المتلقي بالوقت كأن يطلب مادته من خلال أحد المواقع أو أن يحمله بشكل مباشرة و يشرع في عملية التلقي[8].

خامسا: حتمية التحول:

من خلال المقارنة المعقودة أعلاه بين عناصر العملية الإبداعية في الأدب التقليدي وبين عناصرها في الأدب التفاعلي, نجد أن للأدب التفاعلي شروط أساسية كي تنطبق صفة التفاعلية على هذا النوع الجديد من الأدب[9]:

- أن يتحرر مبدعه من الصورة النمطية التقليدية لعلاقة عناصر العملية الإبداعية ببعضها البعض
- أن يتجاوز الآلية التقليدية في تقديم النص الأدبي
- أن يعترف بدور المتلقي في بناء النص و قدرته على الإسهام فيه
- أن يحرص على تقديم نص حيوي تتحقق فيه روح التفاعل لتنطبق عليه صفة التفاعلية

و أن الاستجابة لهذه الشروط كانت ضرورة حتمية رضخ لها الأدب التقليدي كي ينسجم و شروط هذا الأدب الجديد, هذه الشروط التي حتمت على المبدع أن ينتقل من كونه مبدع ورقي صرف إلى مبدع الكتروني يتوجب عليه أن يمتلك إبداعا تفاعليا و على النص أن يكون رقميا محمولا أو مطروحا للمتلقي على وسيلة عرض رقمية أو الشاشة الورقاء كما يفضل أن يلقبها البعض و على المتلقي الذي وجد نفسه أمام حتمية أن يخضع لهذه التحولات فيتحول هو الآخر من متلق ورقي ضيق المساحة إلى متلق إلكتروني رقمي لا حدود لمساحته وتفاعله مع الإبداع المطروح

خاتمة:

كيفية إفادة الأدب من التكنولوجيا الحديثة أضحت أمرا ضروريا بعد كل هذا التأثير من التكنولوجيا على الأدب, و علاقة الإفادة هذه بين التكنولوجيا و الأدب انتقلت في تأثيرها على عملية تلقي الأدب, و على عناصر العملية الإبداعية ذاتها, علاقة أنتجت لنا أدبا يتقاطع مع التكنولوجيا الحديثة, اصطلح على تسميته في الأوساط الثقافية الغربية (Interactive Littérature) و الذي يقابله في الوسط العربي (الأدب التفاعلي), لقد فرض هذا التأثير من التكنولوجيا على الأدب أن يحدث نقلة أو بالأحرى عملية تحول في عناصر عمليته الإبداعية كي يتماشى و هذا

[8] المصدر السابق . ص 178/175

[9] المصدر السابق . ص 49

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطرح التكنولوجي الجديد, الأمر الذي جعلنا نلمس التغيرات الطارئة على هذه العناصر, تغيرات طالت كل من المبدع و النص و المتلقي بل و أضافت كذلك وسائط و حوامل للإبداع أمام المتلقي الذي وجد أن لا مساحة تحد من بنائه و تفاعله مع النص عكس ما كان عليه.

المصادر و المراجع:

- حسين دحو. النص الرقمي في الأدب العربي من الورقية إلى الرقمنة (وجه آخر لما بعد الحداثة). مجلة الآثر. العدد 29 . ديسمبر 2017
- رامز رمضان النويصري. في ذات النص الرقمي. الموقع: https://ramez-enwesri.com/archives/383
- سعيد يقطين. من النص إلى النص المترابط . حوار أجراه مع د: محمد الداهي. الموقع: https://www.mohamed-dahi.net/site/news.php?action=view&id=11
- صفية علية. آفاق النص الأدبي ضمن العولمة . أطروحة دكتوراه في اللغة العربية. إشراف: عالي عالية . جامعة محمد خيضر بسكرة. قسم اللغة العربية
- فاطمة البريكي. مدخل إلى الأدب التفاعلي. الطبعة الأولى. لبنان بيروت. المركز الثقافي العربي.سنة 2006

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com